Tadabbur-e-Uloom-e-Islamia Research Journal (TUIRJ)
ISSN (Online) 2790-8879, ISSN (Print): 2790-8860

تأثير أشهر الأدباء النثر و الشعر من أهل العراق

The Influence of the most famous writers of prose and poetry from the People of Iraq

1.Farzana Habib
Department of Arabic,
The Islamia University of Bahawalpur , Punjab, Pakistan
Email: farzanamazhar171@gmail.com
2. Pro. Dr. Hafiz Shafiq ur Rahman
Professor Department of Arabic,
The Islamia University of Bahawalpur , Punjab, Pakistan

Abstract:
This topic is very important because it will show the influence of Arabic literature in Iraq, which is like the sea, and literary celebrities have been influenced by different Islamic movements and different religious viewpoints. Such as the Islamic sects that arose in Iraq during the era in the second half of the twentieth century, and others
If it is permissible for us to divide the history of Iraqi literature into stages or stations, in the aspect related to the story and the novel in particular, We stop at four main stations, during which he reflected the features of each stage and tried to express them, according to the diligence of every storyteller or novelist.
The first was the establishment stage that accompanied contemporary Iraq's view of the world with another eye. After it became a state with modern institutions that reflect the reality of a country that emerged from the midst of about 6 centuries of loss, and cast a heavy shadow over people's lives in general. It goes without saying that the beginnings of the art of the story and the novel were at the hands of a specific generation of pioneers, led by Mahmoud Ahmed Al-Sayed, who published the first Iraqi novel entitled "Jalal Khaled" in 1928, during which he broadcast his existential questions about man, death and life according to what he experienced and was influenced by the ideas of his time. . After that, fictional and nonfiction works that expressed the reality of Iraq during the stage of monarchy, which matured into a different cultural reality, as a result of the emergence of a middle class and a cultural and journalistic milieu preoccupied with political concern, followed. ،In an attempt to reform it away from the sharp ideological influences, although they existed, they remained limited until the end of World War II, which also represents the second stage in the life of Iraqi literature.
KeyWords: Arabic literature, prose, Human, poetry, Iraq, Influence, novelist

التمهيد

إن العراق باعتباره مهد حضارة ما بين النهرين ومنطلق الأنبياء العظام، يتميز بثرائه الثقافي وعمق حضارته التي تضرب في أعماق التاريخ ، وفي ضوء ذلك فان العراق يتميز بعلو كعبه في مجال الشعر والشعراء من بين البلدان العربية ، وان التحري عن الآثار والمصادر التاريخية والأدبية يبرهن على أن أشهر الأدباء في العراق تميزوا بتضلعهم في جميع فنون الشعر على مدى التاريخ الإسلامي وفي جميع فتراته۔

الأدَبُ لُغةً

يَرجِعُ أصْلُ كَلِمةِ "الأدَبِ" في اللُّغةِ إلى مَعنى الدُّعاءِ، ومِنه قيلَ للوَليمةِ: مَأدُبةٌ؛ لأنَّ صاحِبَها -وهُو الآدِبُ- يَدْعو النَّاسَ إليها. ومِن ذلك قولُ طَرَفةَ بنِ العبْدِ:

نحنُ في المَشْتاةِ نَدْعو الجَفَلى

لا تَرى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ"-1

ومِنه سُمِّيَ التَّحلِّي بالصِّفاتِ الحَميدةِ ودَعْوةُ النَّاسِ إليها والبُعدُ عنِ الصِّفاتِ الذَّميمةِ أدَبًا؛ قالَ الأزْهَريُّ: (والأدَبُ الَّذي يَتأدَّبُ به الأديبُ مِنَ النَّاسِ، سُمِّيَ أدَبًا؛ لأنَّه يَأدِبُ النَّاسَ الَّذين يَتعلَّمونَه إلى المَحامِدِ، ويَنْهاهم عن المَقابِحِ، يَأدِبُهم، أي: يَدْعوهم)"-2

ولذلك يُطلَقُ الأدَبُ على الظَّرْفِ وحُسْنِ التَّناوُلِ، وهو أدَبُ النَّفْسِ والدَّرْسِ، يُقالُ: أَدُبَ أدَبًا فهو أديبٌ"-3

وعلى المَعْنيَيْنِ يُحمَلُ قولُ عبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضيَ اللهُ عنه: (إنَّ هذا القُرآنَ مَأدُبةُ اللهِ، فمَنِ اسْتَطاعَ أنْ يَتعلَّمَ مِنه شيئًا فلْيَفعَلْ؛ فإنَّ أصفَرَ البُيوتِ مِنَ الخَيْرِ البَيْتُ الَّذي ليس فيه مِن كِتابِ اللهِ تَعالى شيءٌ، وإنَّ البَيْتَ الَّذي ليس فيه مِن كِتابِ اللهِ شَيءٌ خَربٌ كخَرابِ البَيْتِ الَّذي لا عامِرَ له، وإنَّ الشَّيطانَ يَخرُجُ مِنَ البَيْتِ يَسمَعُ سورةَ البَقرةِ تُقرَأُ فيه) "-4

فإمَّا أن يكونَ أرادَ بالمَأدُبةِ: ما يَصنَعُه للنَّاسِ، تَشْبيهًا بالمَأدُبةِ الَّتي يَصنَعُها الرَّجلُ يَدْعو النَّاسَ إليها، أو يكونَ أرادَ بها التَّأديبَ والتَّهْذيبَ"-5

الأدَبُ اصْطِلاحًا (بيْنَ القَديمِ والحَديثِ)

مَفْهومُ الأدَبِ في العَصْرِ القَديمِ: كَلِمةُ (أدَب) مِنَ الكَلِماتِ الَّتي تَطوَّرَ مَدْلولُها عبْرَ العُصورِ؛ ففي العَصْرِ الجاهِليِّ وعَصْرِ صدْرِ الإسلامِ اقْتَصرَ مَعنى كَلِمةِ "الأدَب" على ما يُرادُ بها مِن المَعنى اللُّغويِّ الدَّائِرِ بيْنَ الدَّعوةِ إلى الطَّعامِ، وبيْنَ تَهْذيبِ النَّفْسِ والتَّثْقيفِ والتَّحلِّي بمَكارِمِ الأخْلاقِ، وكان الجانِبُ المَعنويُّ للكَلِمةِ أكْثَرَ ذُيوعًا وانْتِشارًا، وهو ما وَرَدَ على لِسانِ ابنِ مَسْعودٍ كما في الأثَرِ السَّابِقِ آنِفًا"-6

وأمَّا العَصْرُ الأُمَويُّ فقدْ عرَفَ لَونًا مِن التَّطوُّرِ الدَّلاليِّ لكَلِمةِ "الأدَب" حينَ صارَ الخُلَفاءُ على عِنايةٍ بتَربيةِ أولادِهم، وإعْدادِهم لوِلايةِ العَهْدِ، وتَولِّي الخِلافةِ، فعَهِدوا إلى أكابِرِ العُلَماءِ في عَهْدِهم ليَقوموا بتَربيةِ أبْنائِهم، فيُعَلِّموهم أُصولَ العُلومِ الشَّرعيَّةِ واللُّغويَّةِ، ويُطَبِّعوهم على تَمَرُّسِ السِّياسةِ وقِيادةِ النَّاسِ، وإرْشادِهم إلى ما يَليقُ وما لا يَليقُ. وقد شاعت تَسْميةُ هؤلاء العُلَماءِ بالمُؤدِّبينَ، فكان عامِرٌ الشَّعْبيُّ مُؤدِّبًا لأبْناءِ عبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ، وكان عبْدُ الصَّمَدِ بنُ عبْدِ الأعلى مُؤدِّبًا للوَليدِ بنِ عبْدِ العَزيزِ، وكان الجَعْدُ بنُ دِرهَمٍ مُؤدِّبًا لمَروانَ بنِ مُحمَّدٍ"-7

وقد شاع اسْتِعمالُ كَلِمةِ الأدَبِ بالمَعنى الأخْلاقيِّ في عَصْرِ صدْرِ الإسلامِ وزَمانِ بَني أُميَّةَ والعَباسيِّينَ، حتَّى صدَّرَ المُصنِّفونَ "الأدَب" عُنوانًا لكُتُبِهم أو لِبعضِ أبوابِ كُتُبِهم الَّتي تَتَضمَّنُ صِلةَ الرَّحِمِ، وبِرَّ الوالِدَينِ، ورَحْمةَ النَّاسِ، والتَّصدُّقَ على المَساكينِ، والرِّفقَ، وحِفْظَ حقِّ الجارِ، ونَحْوَ ذلك، كما فَعَلَ البُخاريُّ في كِتابِه "الأدَب المُفرَد"، وفي تَرْجَمةِ

---

1 - بيتٌ من بحر الرَّمَل، لطرفةَ بنِ العَبدِ في ديوانه (ص: 43). والمَشتاةُ: أوقاتُ الشِّتاءِ، والجَفَلى: الجماعةُ، والآدِبُ: الدَّاعي إلى الوليمةِ، ينْتَقِر: يتخَيَّر

2 - الأزهري ،تهذيب اللغة،14/147

3 - ابن سيده ،المحكم والمحيط الأعظم،9/ 385

4 - عبد الرزاق في مصنفه(5998)

5 - القاسم بن سلام ،غريب الحديث،5/ 125

6 - شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،1/ 7

7 - الرافعي ،تاريخ آداب العرب،1/ 21

كِتابِ "الأدَب" في صَحيحِه، ومُسلِمٌ في تَرْجَمةِ كِتابِ "الآداب"، وكِتابِ "البِرِّ والصِّلةِ والآدابِ" مِن صَحيحِه أيضًا، وكذا صَنَعَ أبو داودَ والتِّرْمِذيُّ وابنُ ماجه وغيْرُهم"۔8

إلَّا أنَّه معَ بدايةِ العَصْرِ العَبَّاسيِّ تَطوَّرَ مُصْطلَحُ الأدَبِ تَطوُّرًا مَلْحوظًا؛ إذ كانَ مِن نَتيجةِ النَّهضةِ العِلميَّةِ والثَّقافيَّةِ آنَذاك أن أصْبَحَ الأدَبُ عَلَمًا على لَونٍ مِن ألوانِ الكَلامِ والكِتابةِ، وعِلمًا مِن عُلومِها، وهو كلُّ كَلامٍ بَليغٍ مِن الشِّعرِ والنَّثرِ، وما اتَّصلَ بهما مِن الشَّرحِ والنَّقْدِ والتَّعْليقِ ونَحْوِه"۔9

ولِهذا ذَكَرَ ابنُ خَلْدونَ في تَعْريفِ الأدَبِ: (هذا العِلمُ لا مَوْضوعَ له يَنظُرُ في إثْباتِ عَوارِضِه أو نَفْيِها، وإنَّما المَقْصودُ مِنه عنْدَ أهْلِ اللِّسانِ ثَمَرتُه، وهي الإجادةُ في فَنَّيِ المَنْظومِ والمَنْثورِ على أساليبِ العَربِ ومَناحيهم، فيَجْمعونَ لذلِك مِن كَلامِ العَربِ ما عَساه تَحصُلُ به الكَلِمةُ مِن شِعرٍ عالي الطَّبَقةِ، وسَجْعٍ مُتساوٍ في الإجادةِ، ومَسائِلَ مِن اللُّغةِ والنَّحْوِ مَبْثوثةٍ في أثْناءِ ذلك مُتَفرِّقةٍ، يَستقرِئُ مِنها النَّاظِرُ في الغالِبِ مُعظَمَ قَوانينِ العَربيَّةِ، معَ ذِكْرِ بعضٍ مِن أيَّامِ العَربِ، يُفهَمُ به ما يَقَعُ في أشْعارِهم مِنها، وكذلك ذِكْرُ المُهِمِّ مِن الأنْسابِ الشَّهيرةِ والأخْبارِ العامَّةِ. والمَقْصودُ بذلك كلِّه ألَّا يَخْفى على النَّاظِرِ فيه شيءٌ مِن كَلامِ العَربِ وأساليبِهم ومَناحي بَلاغتِهم إذا تَصفَّحَه؛ لأنَّه لا تَحصُلُ المَلَكةُ مِن حِفْظِه إلَّا بعْدَ فَهْمِه، فيُحتاجُ إلى تَقْديمِ جَميعِ ما يَتوقَّفُ عليه فَهْمُه، ثُمَّ إنَّهم إذا أرادوا حَدَّ هذا الفَنِّ قالوا: "الأدَبُ هو حِفْظُ أشْعارِ العَربِ وأخْبارِها، والأخْذُ مِن كلِّ عِلمٍ بطَرَفٍ"؛ يُريدون: مِن عُلومِ اللِّسانِ أو العُلومِ الشَّرعيَّةِ مِن حيثُ مُتونُها فقط، وهي القُرآنُ والحَديثُ؛ إذ لا مَدخَلَ لغيْرِ ذلك مِن العُلومِ في كَلامِ العَربِ إلَّا ما ذهَبَ إليه المُتأخِّرونَ عنْدَ كَلَفِهم بصِناعةِ البَديعِ مِن التَّوريةِ في أشْعارِهم، وتَرَسُّلِهم بالاصْطِلاحاتِ العِلميَّةِ، فاحتاجَ صاحِبُ هذا الفَنِّ حينَئذٍ إلى مَعْرفةِ اصْطِلاحاتِ العُلومِ؛ ليكونَ قائِمًا على فَهْمِها)"۔10

فنَجِدُ مَثَلًا أبا العبَّاسِ المُبَرِّدَ إمامَ اللُّغةِ المُتوفَّى سَنةَ 258هـ يُؤلِّفُ كِتابًا يُسمِّيه: "الكامِلَ في اللُّغةِ والأدَبِ"، يقولُ في مُقدِّمتِه: (هذا كِتابٌ ألَّفْناه، يَجمَعُ ضُروبًا مِن الآدابِ ما بيْنَ كَلامٍ مَنْثورٍ، وشِعْرٍ مَوْصوفٍ، ومَثَلٍ سائِرٍ، ومَوْعظةٍ بالِغةٍ، واخْتِيارٍ مِن خُطبةٍ شَريفةٍ، ورِسالةٍ بَليغةٍ...) ، وغيْرُ ذلك الكَثيرُ.

بل إنَّ الأمْرَ قدِ استَتبَّ بعْدَ ذلك واشتَهَرَتْ تَسْميةُ الأعْمالِ الشِّعريَّةِ والنَّثريَّةِ بالأدَبِ، حتَّى قال المُتَنبِّي مُفاخِرًا:

أنا الَّذي نظَرَ الأعْمى إلى أدَبي

وأسمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ"۔11

مَفْهومُ الأدَبِ في العَصْرِ الحَديثِ

للأدَبِ في الاصْطِلاحِ الحَديثِ مَعنيان بارِزان؛ مَعنًى عامٌّ، وآخَرُ خاصٌّ.

فيُطلَقُ الأدَبُ في المَعنى العامِّ على كُلِّ ما أنْتَجَه العَقْلُ الإنْسانيُّ في أيِّ مَيْدانٍ مِن مَيادينِ العُلومِ والفُنونِ؛ كالفَلسفةِ والمَنطِقِ وعِلمِ الاجتِماعِ والرِّياضيَّاتِ وعُلومِ الطَّبيعةِ، وكذا فُنونُ الشِّعرِ والكِتابةِ ونَحْوُها، وهو بِهذا المَعنى مُرادِفٌ لمُصْطلَحِ الثَّقافةِ"۔12

ومِن هذا المَنْحى نَجِدُ كارل بروكلمان يقولُ: (يُمكِنُ إطلاقُ لفْظِ الأدَبِ بأوْسَعِ مَعانيه على كُلِّ ما صاغَه الإنسانُ في قالَبٍ لُغويٍّ؛ ليُوصِلَه إلى الذَّاكِرةِ)"۔13

8 ۔ الرافعي ،تاريخ آداب العرب،1/ 23

9 ۔ الرافعي ،تاريخ آداب العرب،1/ 23

10 ۔ أبو العباس المبرد ،الكامل في اللغة والأدب، 1/ 5

11 ۔ بيتٌ من بَحرِ البسيط لأبي الطيب المتنبي في ديوانه (ص: 323)

12 ۔ كارل بروكلمان ،تاريخ الأدب العربي،1/ 3

وقد سبَقَ إلى ذلك الشُّمولِ بعضُ عُلَماءِ الدَّولةِ العبَّاسيَّةِ قَديمًا، كما يَظهَرُ مِن تَأليفِ كُشاجِمَ؛ شاعِرِ الدَّولةِ الحَمْدانيَّةِ وطبَّاخِ سَيْفِ الدَّولةِ كِتابَه: "أدَب النَّديم"؛ إذ أوْدَعَه ما لا يَسْتغني عنه شَريفٌ، ولا يَجوزُ أن يُخِلَّ به ظَريفٌ وظهَرَ ذلك أيضًا في قَولِ أبي القاسِمِ الشَّجَريّ، أحَدِ شُعراءِ القَرْنِ الرَّابعِ الهِجريّ:

إنْ شِئْتَ تَعلَمُ في الآدابِ مَنزِلتي
وأنَّني قد عَداني العِزُّ وَالنِّعَمُ
فالطَّرْفُ والسَّيْفُ والأَوْهاقُ تَشهَدُ لي
والعُودُ والنَّرْدُ والشِّطْرَنْجُ والقَلَمُ

فأدخَلَ في الآدابِ فُنونًا وألْعابًا وغيْرَ ذلك"[13].

وأمَّا المَعنى الخاصُّ للأدَبِ فيُرادُ به: (النِّتاجُ العاطِفيُّ الَّذي يُعبِّرُ فيه صاحِبُه بالألفاظِ عن شُعورٍ عاطِفيٍّ، وفيه إثارةٌ للقارِئِ والسَّامِعِ، أيْ ذلِك التَّعبيرُ العاطِفيُّ المُثيرُ، وهذا يكونُ عادةً في الشِّعْرِ الرَّائِعِ والنَّثْرِ البَليغ)"[14].

وعلى المَعنى الخاصِّ وجَدْنا العَديدَ مِن تَعْريفاتِ الأدَبِ تَختلِفُ في مَبْناها، إلَّا أنَّها في الغالِبِ تَتَّفقُ في المَعنى، ومِن ذلك:

قيل: (أدَبُ لُغةِ كُلِّ أُمَّةٍ: هو ما أُودِعَ نَثْرَها وشِعْرَها مِن نَتائِجِ عُقولِ أبنائِها، وأمْثِلةِ طِباعِهم، وصُوَرِ أخيلَتِهم، ومَبلَغِ بَيانِهم، ممَّا شأنُه أن يُهذِّبَ النَّفْسَ، ويُثقِّفَ العَقْلَ، ويُقوِّمَ اللِّسانَ)"[15].

ويُعرِّفُه د. شوقي ضيف بأنَّه: (الكَلامُ الإنْشائيُّ البَليغُ، الَّذي يُقصَدُ به التَّأثيرُ في عَواطِفِ القُرَّاءِ والسَّامِعين، سواءٌ أكان شِعرًا أم نَثْرًا)"[16].

ويَرى د. مُحمَّد غنيمي أنَّ الأدَبَ حتَّى يَصِحَّ أن يُقالَ عنه أدَبٌ لا بُدَّ أن يَتوفَّرَ على عُنْصُرَينِ؛ الفِكرةِ، والقالَبِ الفنِّيِّ الَّذي تُصاغُ فيه؛ قال: (أمَّا الأدَبُ فكَثيرًا ما اختَلَفَ الباحِثون في تَعْريفِه، وطالَ جِدالُهم فيه... ولكنْ مَهْما يَكنْ بيْنَهم مِن اخْتِلافٍ فهُمْ لا يُمارونَ في تَوافُرِ عُنْصرَينِ في كلِّ ما يَصِحُّ أنْ نُطلِقَ عليه أدَبًا؛ هُما: الفِكرةُ وقالَبُها الفنِّيُّ، أو المادَّةُ والصِّيغةُ الَّتي تُصاغُ فيها. وهذانِ العُنْصُرانِ يَتمثَّلانِ في جَميعِ صُوَرِ الإنتاجِ الأدَبيّ؛ سَواءٌ أكانَ تَصْويرًا لإحْساساتِ الشَّاعِرِ وخَلَجاتِ نفْسِه تِجاهَ عَظَمةِ الكَوْنِ وما فيه مِن جَمالٍ وأسرارٍ، أم كانَ تَعْبيرًا عن أفكارِ الكاتِبِ في الإنسانِ والمُجْتمَعِ، وسَواءٌ كان ذلك الإنتاجُ الأدَبيُّ رِسالةً أو مَقالةً، أم مَسْرحيَّةً أو قِصَّةً...)

ويُعرِّفُه د. عُمَر فرُّوخ بقولِه: (الأدَبُ هو المَعنى المُبتكَرُ في اللَّفظِ الفَصيحِ، والتَّعْبيرِ المَتينِ، والأُسلوبِ البارِعِ، والخَيالِ الواسِعِ)"[17].

والمَلْحوظُ في جَميعِ تلك التَّعْريفاتِ أنَّها تَحصُرُ الأدَبَ في الفِكرةِ وطَريقةِ التَّعْبيرِ؛ فلا بُدَّ في الفِكرةِ مِن أن تكونَ مُعبِّرةً عن أمْرٍ نفْسيٍّ يَجِدُه الأديبُ في نفْسِه، ويُعبِّرُ مِن خِلالِه عن عاطِفتِه تِجاهَ الحَياةِ أو الإنْسانِ أو المُجتَمَعِ وقَضاياه، وفي الطَّريقةِ والأُسلوبِ أن يكونَ بَليغًا يُؤدِّي الغَرَضَ، ويُطابِقُ مُقْتضى الحالِ، دونَ الإغْرابِ والإخْلالِ، والإطْنابِ المُمِلِّ"[18].

---

13 ـ هي الجِبالُ التي توضَعُ في أعناقِ الإبلِ والخيلِ، فتُؤخذُ منها لئلَّا تهرُبَ، مفردُها: وَهَق. ينظر: ((جمهرة اللغة)) لابن دريد (2/ 980)، المخصص(2/ 473)

14 ـ الرافعي ،تاريخ آداب العرب،1/ 24

15 ـ علي الجندي ،تاريخ الأدب الجاهلي،ص91

16 ـ مصطفى العناني وأحمد السكندري ،الوسيط في الأدب العربي وتاريخه،ص4

17 ـ شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي،1/ 7

18 ـ محمد غنيمي هلال ،الأدب المقارن،ص10

وهذا التَّعْريفُ الخاصُّ للأدَبِ هو الَّذي عليه اللُّغويُّونَ وأهْلُ البَلاغةِ والأدَبِ"[19].

فائِدةُ دِراسةِ الأدَبِ

دِراسةُ الأدَبِ العَربيّ ليست مِن قَبيلِ التَّرَفِ العِلميّ فحَسْبُ، بل لها فَوائِدُ غَزيرةٌ تَعودُ على الفَرْدِ والمُجْتمَعِ على حَدٍّ سواءٍ؛ إذِ الأدَبُ ما هو إلَّا تَعْبيرٌ عن النَّفْسِ وآمالِها وآلامِها، وعن الواقِعِ بمُكَوِّناتِه ومُشْكِلاتِه، وعن القِيَمِ بأُصولِها وفُروعِها وتَشابُكِها معَ الحَياةِ... وهذا كلُّه بأُسلوبٍ مُنمَّقٍ يَجذِبُ القارِئَ والمُستمِعَ ويُؤثِّرُ فيه، فنحن إذْ نَدرُسُ أدَبَ الأُمَّةِ العَربيَّةِ إنَّما نَدرُسُ خُلاصةَ عُقولِها ونَفْسيَّاتِها وواقِعِها وتَجرِبتِها الطَّويلةِ في الحَياةِ (فأدَبُ أيّ أُمَّةٍ هو نِتاجُ عَواطِفِها ومَشاعِرِها وعُقولِها، وهو عُصارةُ مِزاجِها النَّفْسيّ، وطابَعُ رُوحِها... فهو خُلاصةُ وِجهةِ نَظَرِها في الحَياةِ مُستمَدَّةً مِن داخِلِها)"[20].

وانْطِلاقًا مِن هذه المَعاني يُمكِنُنا إجْمالُ فَوائِدِ دِراسةِ الأدَبِ فيما يأتي:

1- دِراسةُ الأدَبِ تُعِينُ على فَهْمِ اللُّغةِ العَربيَّةِ، وتَذوُّقِها، والوُقوفِ على تاريخِها، وتاريخِ الفُصَحاءِ والبُلَغاءِ مِن أهْلِها، على اختِلافِ عُصورِهم وأحْوالِهم وأساليبِهم.

2- تَكسِبُ دِراسةُ الأدَبِ صاحِبَها المَلَكةَ اللُّغويَّةَ السَّليمةَ، وتَرْتقي بجَودةِ خِطابِه، ورَصانةِ تَعْبيرِه.

3- تُنَمِّي دِراسةُ الأدَبِ في نفْسِ صاحِبِها المَعانيَ الإنْسانيَّةَ الرَّاقيةَ، وتَكسِبُه الحِسَّ الجَماليَّ، فتَرْتقي به في جَوانِبِ الحَياةِ المَعْنويَّةِ والرُّوحيَّةِ، كما ارتَقَتْ بالجَوانِبِ اللُّغويَّةِ التَّعْبيريَّةِ عِنْدَه.

4- تُعِينُ على مَعْرفةِ أسْبابِ ارْتِقاءِ اللُّغةِ وانْحِطاطِها، على اخْتِلافِ وتَنوُّعِ هذه الأسْبابِ؛ لتُصبِحَ هذه المَعْرفةُ وَسيلةً لسُلوكِ سُبُلِ الارْتِقاءِ، واجْتِنابِ أسْبابِ الانْحِطاطِ"[21].

5- تَتَبُّعُ تاريخِ الأدَبِ والأُدباءِ مَصدَرٌ غَنِيٌّ مِن مَصادِرِ دِراسةِ التَّاريخِ بوَجْهٍ عامٍّ، والوُقوفِ على كَثيرٍ مِن أحْداثِه على لِسانِ مَن عاصَرَ وعايَشَ هذه الأحْداثَ.

6- تَجْسيدُ الأدَبِ للقِيَمِ الإنْسانيَّةِ والتَّجارِبِ الحَياتيَّةِ المُخْتلِفةِ في كلِّ عَصْرٍ مِن العُصورِ يَكسِبُ الدَّارِسَ الفَهْمَ العَميقَ للقِيَمِ وللإنْسانِ بصورةٍ عَمَليَّةٍ مَلْموسةٍ؛ إذ يُمكِنُ القَولُ بأنَّ أدَبَ أيِّ أُمَّةٍ إنَّما يُشكِّلُ ضَميرَ الأُمَّةِ، إضافةً إلى القِيَمِ الفِكريَّةِ والرُّوحيَّةِ الَّتي تَعْتنِقُها، إضافةً لجَوهَرِ اللُّغةِ.

7- الأدَبُ أحَدُ أعظَمِ أسْبابِ حِفْظِ اللُّغةِ، واللُّغةُ بمَنزِلةِ العَمودِ الفِقْريِّ الَّذي يَشُدُّ جَسَدَ أبْناءِ الأُمَّةِ، ويَحفَظُ عليه تَماسُكَه وثَباتَه؛ ومِن هذا المَنْحى فإنَّ دِراسةَ الأدَبِ سَبيلٌ لحِفْظِ وَحْدةِ الأمَّةِ واسْتِمرارِها"[22].

أقْسامُ الأدَبِ

عُنِيَ العُلَماءُ بالأدَبِ والأُدَباءِ عبْرَ العُصورِ، وكَثُرَتِ المُؤلَّفاتُ والدِّراساتُ المُتعلِّقةُ بهذا الشَّأنِ، وقد تَعدَّدتْ مَداخِلُ العُلَماءِ لتَقْسيمِ الأدَبِ، ودِراستِه دِراسةً عِلميَّةً وافيةً. وهناك اتِّجاهانِ رَئيسانِ نَلمَحُهما في تَقْسيمِ الأدَبِ العَربيّ؛ الأوَّلُ: التَّقْسيمُ الزَّمَنيُّ التَّاريخيُّ، والثَّاني: التَّقْسيمُ الفنِّيُّ المَوْضوعيُّ.

19 ـ عمر فروخ ،تاريخ الأدب العربي،44/1

20 ـ أنور الجندي ،خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث،ص16

21 ـ مصطفى العناني وأحمد السكندري ،الوسيط في الأدب العربي وتاريخه،ص5

22 ـ أحمد حسن الزيات ،تاريخ الأدب العربي،ص4

التَّقْسيمُ التَّاريخيُّ للأدَبِ

يُعَدُّ هذا التَّقْسيمُ المَدخَلَ الأشْهَرَ لدِراسةِ الأدَبِ دِراسةً تاريخيَّةً، وفيه يُقسَّمُ تاريخُ الأدَبِ إلى عُصورٍ أو مَراحِلَ تاريخيَّةٍ، وفي كلِّ مَرْحلةٍ يَقِفُ فيها الباحِثُ على تاريخِ الأدَبِ العَربيِّ بأحْداثِه ومَوْضوعاتِه ورِجالِه وآثارِه، وفي أثْناءِ ذلك يَرصُدُ تَطوُّرَ الأدَبِ ومَراحِلَ ازْدِهارِه وخُمولِه مُنْذُ القِدَمِ، وعَبْرَ العُصورِ التَّاريخيَّةِ الكُبرى الَّتي مَرَّ بها حتَّى يومِنا هذا.

وقد درَجَ مَنْ أرَّخَ للأدَبِ على هذه الطَّريقةِ -في الأغْلَبِ- على تَقْسيمِ تاريخِ الأدَبِ إلى عُصورٍ رَئيسةٍ، وهي:

1ـ العَصْرُ الجاهِليُّ: وهو الحِقبةُ الَّتي تَسبِقُ ظُهورَ الإسلامِ بقُرابةِ قَرنَينِ مِنَ الزَّمانِ.

2ـ العَصْرُ الإسْلاميُّ: ويَبدَأُ هذا العَصْرُ بظُهورِ الإسلامِ، ويَمتَدُّ إلى نِهايةِ عَهْدِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ، وبدايةِ الدَّولةِ الأُمَويَّةِ.

3ـ العَصْرُ الأُمَويُّ: ويَبدَأُ بقِيامِ الدَّولةِ الأُمَويَّةِ بدايةً مِن سَنةِ 41هـ، ويَمتَدُّ إلى سُقوطِها عامَ 132هـ.

4ـ العَصْرُ العبَّاسيُّ: ويَبدَأُ هذا العَصْرُ بقِيامِ الدَّولةِ العبَّاسيَّةِ سَنةَ 132هـ، ويَنْتهي بسُقوطِ بَغْدادَ على يَدِ التَّتارِ سَنةَ 656هـ.

ومِن المُؤرِّخين مَن يُقسِّمُ هذا العَصْرَ إلى قِسمَينِ:

العَصْرُ العبَّاسيُّ الأوَّلُ: وهو قُرابةُ مِئةِ سَنةٍ مِن قِيامِ الدَّولةِ العبَّاسيَّةِ.

العَصْرُ العبَّاسيُّ الثَّاني: وهو بَقيَّةُ عُمرِ الدَّولةِ العبَّاسيَّةِ حتَّى سُقوطِها.

5ـعَصْرُ الدُّوَلِ والإماراتِ: وتَتَنوَّعُ مُسمَّياتُ الكُتَّابِ لِهذا العَصْرِ، وهي على اخْتِلافِ مُسمَّياتِها تُعبِّرُ عن المُدَّةِ ما بيْنَ سُقوطِ الخِلافةِ العبَّاسيَّةِ إلى خُروجِ الاحْتِلالِ الفَرنسيِّ مِن مِصْرَ، وقِيامِ حُكْمِ مُحمَّد علي باشا.

وفي هذه المُدَّةِ قامَتِ العَديدُ مِن الدُّوَلِ والإماراتِ في العالَمِ الإسلاميِّ؛ كالفاطِميِّينَ والأيُّوبِيِّينَ، والمَماليكِ والعُثْمانيِّينَ، وغيْرِهم.

6ـالعَصْرُ الحَديثُ: وهو العَصْرُ الَّذي يَبدَأُ بِنِهايةِ الاحْتِلالِ الفَرنسيِّ لِمِصْرَ، وقِيامِ حُكْمِ مُحمَّد علي باشا بعْدَه، وذلِك في مَطلَعِ القَرْنِ التَّاسِعَ عشَرَ الميلاديِّ، ويَمتَدُّ إلى يومِنا هذا.

وهذا التَّقْسيمُ التَّاريخيُّ هو الأشْهَرُ، على اخْتِلافٍ يَسيرٍ بيْنَ الباحِثينَ في مُسمَّياتِ بعضِ العُصورِ، وتَحْديدِ بداياتِها ونِهاياتِها"ـ23

التَّقْسيمُ المَوْضوعيُّ

والمَقْصودُ به تَقْسيمُ الأدَبِ العَربيِّ باعْتِبارِ مَوْضوعاتِه إلى قِسْمَينِ؛ (شِعْر ونَثْر). والشِّعرُ هو الكَلامُ المَوْزونُ المُقفَّى، الَّذي يَخضَعُ لقَواعِدَ وقَوانينَ مُعيَّنةٍ، لا يُلزَمُ النَّثْرُ بها. وأمَّا النَّثْرُ فعلى النَّقيضِ؛ حيثُ يَنعَمُ بالحُريَّةِ دونَ تَقيُّدٍ بقَواعِدِ الوَزْنِ والقافيةِ، معَ اتِّسامِه بحُسْنِ الصِّياغةِ وجَمالِ الأداءِ؛ ولِهذا فلا تَجوزُ فيه مُخالَفةُ اللُّغةِ العَربيَّةِ، خِلافًا للشِّعرِ؛ حيثُ يَجوزُ فيه لضَرورةِ الوزنِ أن يُخالِفَ القَواعِدَ.

ولكلٍّ مِنَ الشِّعْرِ والنَّثْرِ أنْواعٌ وصُوَرٌ مُتَعدِّدةٌ، ولكلٍّ رِجالُه الَّذين أثْرَوُا الحَياةَ الأدَبيَّةَ العَربيَّةَ بعَطاءاتِهم.

مَصادِرُ الأدَبِ

المَصادِرُ الأدَبيَّةُ هي الكُتُبُ والمَوْسوعاتُ الَّتي حَوَتْ كلَّ ما يَتَّصِلُ بالأدَبِ العَربيِّ مِن عُلومٍ وفُنونٍ، والَّتي يَستمِدُّ مِنها الباحِثُ في الأدَبِ العَربيِّ مادَّةَ بَحْثِه، ويَجِدُ طالِبُ العِلمِ فيها بُغْيتَه.

والمَكتبةُ الأدَبيَّةُ العَربيَّةُ تَحْوي كمًّا هائِلًا مِنَ المَصادِرِ الأدَبيَّةِ، الَّتي يَجِدُ فيها كلُّ مَن يَبحَثُ عن أيِّ فَرْعٍ مِن فُروعِ الأدَبِ بُغْيتَه، ومِن أشْهَرِ هذه المَصادِرِ ما يأتي:

23 ـ أحمد حسن الزيات ،تاريخ الأدب العربي،ص5

1- كُتُبُ الدَّواوينِ والأعْمالِ الشِّعريَّةِ: سواءٌ كانَتْ جامِعةً لشِعرِ شاعِرٍ بعَيْنِه؛ جاهِليًّا كان؛ كامْرِئِ القَيْسِ وزُهَيْرٍ وعَنْتَرةَ والأَعْشى وغَيْرِهم، أو مُخَضْرَمًا؛ كحَسَّانَ بنِ ثابِتٍ وكَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ، أو إسلاميًّا؛ كجَريرٍ والفَرَزْدَقِ، أو عبَّاسيًّا؛ كالمُتَنبِّي وابنِ الرُّوميِّ والبُحْتُريِّ وأبي تَمَّامٍ، أو مُحْدَثًا، مِثلُ: شَوقي والبارودي وحافِظٍ وجُبْرانَ وغيْرِهم.

ورُبَّما كانَتْ جامِعةً لعِدَّةِ شُعَراءَ، مِثلُ ديوانِ الهُذَليِّينَ الَّذي يَجمَعُ شِعْرَ شُعَراءِ قَبيلةِ هُذَيلٍ، وعلى رأسِهم أبو ذُؤَيبٍ الهُذَليُّ، ومِثلُ المُعَلَّقاتِ الَّتي حَوَتْ قَصائِدَ مِن عُيونِ الشِّعرِ الجاهِليِّ.

2-كُتُبُ الاخْتِياراتِ الأدَبيَّةِ:

وهي تلك الكُتُبُ الَّتي اخْتارَ أصْحابُها عُيونًا مِنَ الشِّعرِ والأدَبِ، سواءٌ في الشِّعرِ الجاهِليِّ أو ما بعْدَه، وحَظِيتْ بإعْجابِ الرُّواةِ وعُمومِ النَّاسِ، وعَمَدَ أصْحابُ تلك الكُتُبِ إلى ذِكْرِها وشَرْحِها.

ومِن تلك الكُتُبِ:

(أ) المُفَضَّلِيَّاتُ: للمُفضَّلِ بنِ مُحمَّدِ بنِ يَعْلى بنِ سالِمٍ الضَّبِّيِّ، المُتَوفَّى سَنةَ 168هـ وهو مِن أقْدَمِ الكُتُبِ الَّتي وصَلَتْنا في الشِّعرِ الجاهِليِّ. اخْتارَ فيها المُفضَّلُ بعضًا مِن نَوادِرِ الشِّعْرِ العَربيِّ، ثم شرَحه أبو بكرِ بنُ الأنباري المتوفَّى (328هـ)، كما شرَحه أيضًا الأستاذانِ أحمد شاكِر وعبد السلام هارُون في تحقيقِهما له.

(ب) الأصْمَعيَّاتُ: لأبي سَعيدٍ عبْدِ المَلِكِ بنِ قُرَيبٍ الأصْمَعيِّ، المُتَوفَّى سَنةَ (216هـ)، وقدِ اسْتكمَلَ في كِتابِه هذا جُهْدَ المُفضَّلِ الضَّبِّيِّ، وأتى بما أخَلَّ به ممَّا يَراه الأصْمَعيُّ مِن عُيونِ الشِّعرِ العَربيِّ وأجْوَدِه كذلك.

(ج) العِقْدُ الفَريدُ: لأبي عُمَرَ، شِهابِ الدِّينِ أحْمَدَ بنِ مُحمَّدِ بنِ عبْدِ رَبِّه، المُتَوفَّى سَنةَ (328هـ)، ذكَرَ فيها أيَّامَ العَربِ ووَقائِعَهم، وما قيلَ في ذلِك مِن شِعْرٍ، وأصَّلَ لبعضِ القَصائِدِ الجاهِليَّةِ، فذَكَرَ مُناسَبتَها وما قيلَتْ فيه، كما ذَكَرَ قِصةَ "دارةِ جُلْجُل" معَ امْرِئِ القَيْسِ، وغَيْرَها، واعْتَنى بذِكْرِ ما وقَعَ بيْنَ الأُدَباءِ مِنَ المُلَحِ والنَّوادِرِ.

كُتُبُ تَراجِمِ الأُدَباءِ والشُّعَراءِ:

وهي تلك الكُتُبُ الَّتي اعْتَنَتْ بطَبَقاتِ الشُّعَراءِ، وذِكْرِ أخْبارِهم وسِيَرِهم، وتَرْجمةِ حَياتِهم، معَ انْتِخابِ أفْضَلِ أشْعارِهم، ومِن ذلِك:

(أ) جَمْهَرةُ أشْعارِ العَربِ: لأبي زَيْدٍ، مُحمَّدِ بنِ أبي الخَطَّابِ القُرَشيِّ ؛ حيثُ وقَفَ فيه على أخْبارِ بعضِ الشُّعَراءِ الكِبارِ؛ كزُهَيرٍ وامْرِئِ القَيْسِ، والأعْشى ولَبيدٍ، وعَمْرِو بنِ كُلْثومٍ وغيْرِهم، وتَناوَلَ شيئًا مِن أشْعارِهم ممَّا انْتَقاه بنفْسِه مِن أفْضَلِ ما قالوا، وتَناوَلَ تَبايُنَ الرُّواةِ والعُلَماءِ في أفْضَلِ الشُّعَراءِ، ثُمَّ ذَكَرَ المُعَلَّقاتِ، ثُمَّ اخْتارَ بعضًا مِن عُيونِ الشِّعرِ، سمَّى بعضَها المُجَمْهَراتِ، وبعضَها المُذَهَّباتِ، وبعضَها المَراثِيَ، وبعضَها المَشوباتِ، وأُخرى المُلْحَماتِ.

(ب) طَبَقاتُ فُحولِ الشُّعَراءِ: لأبي عبْدِ اللهِ، مُحمَّدِ بنِ سَلَّامٍ الجُمَحيِّ، المُتَوفَّى سَنةَ (232هـ)، وقد قام بانْتِخابِ الشُّعَراءِ واخْتِبارِ شِعْرِهم، حتَّى جعَلَهم على طَبَقاتٍ ومَراتِبَ، فجعَلَ لشُعَراءِ الجاهِليَّةِ عَشْرَ طَبَقاتٍ، في كلِّ طَبَقةٍ أرْبَعةُ شُعَراءَ، وكذا جعَلَ لشُعَراءِ الإسلامِ؛ فجعَلَ في الطَّبَقةِ الأُولى لشُعَراءِ الجاهِليَّةِ امْرأَ القَيْسِ، وزُهَيْرَ بنَ أبي سُلْمى، والأعْشى، والنَّابِغةَ الذُّبْيانيَّ، وفي الطَّبَقةِ الأُولى لشُعَراءِ الإسلامِ جَريرًا، والفَرَزْدَقَ، والأخْطَلَ، والرَّاعيَ النُّمَيريَّ. وذَكَرَ أفْضَلَ ما قالَه كلُّ شاعِرٍ مِنَ الشُّعَراءِ، كلٌّ في مَوضِعِه وطَبَقتِه.

(ج) الشِّعرُ والشُّعَراءُ: لأبي مُحمَّدٍ، عبْدِ اللهِ بنِ مُسلِمِ بنِ قُتَيْبةَ الدِّينَوَريِّ، المُتَوفَّى سَنةَ (276هـ)، عُنِيَ ابنُ قُتَيْبةَ بذِكْرِ تَراجِمِ الشُّعَراءِ، فتَرْجَمَ لمِئَتَي شاعِرٍ وسِتَّةِ شُعَراءَ، يَذكُرُ أسْماءَهم وأنْسابَهم وأخْبارَهم ووَفاتَهم، ويَنتخِبُ مِن أشْعارِهم.

كُتُبُ التَّاريخِ الأدَبيِّ

وهي تلك الكُتُبُ الَّتي اسْتَعرَضَتْ تاريخَ الأدَبِ مِن العَصْرِ الجاهِليِّ، وتَدرَّجَتْ به عَبْرَ العُصورِ، ووقَفَتْ على أبْرَزِ رِجالِه، وأبْرَزِ أعْمالِهم، ومِن أبْرَزِ هذه الكُتُبِ مَوْسوعةُ شَوقي ضَيف في تاريخِ الأدَبِ العَربيِّ، وكذا مَوْسوعةُ لويس شيخو في تاريخِ الأدَبِ العَربيِّ.

كُتُبُ البَلاغةِ والنَّقْدِ:

وهي مادَّةٌ خِصبةٌ تُوقِفُ الدَّارِسَ على أدَواتِ الأديبِ، وما يَنْبغي أن يُحصِّلَه ليَتَمكَّنَ مِنَ الإبْداعِ الأدَبيّ، ومِن أبْرَزِ هذه الكُتُبِ:

(أ) البَيانُ والتَّبْيينُ: لأبي عُثْمانَ، عَمْرِو بنِ بَحْرِ بنِ مَحْبوبٍ الكِنانيّ، المَشْهورِ بالجاحِظِ، المُتَوفَّى سَنةَ 255هـ وهو مِن أشْهَرِ الكُتُبِ في اللُّغةِ والأدَبِ، وقد تَحدَّثَ فيه الجاحِظُ عن مَفْهومِ البَيانِ وأنْواعِه، وآفاتِ اللِّسانِ، والبَلاغةِ والفَصاحةِ، ودعَّمَ ذلك بعَرْضٍ مُقْتَطَفاتٍ مِنَ الخُطَبِ والرَّسائِلِ والأشْعارِ والأحاديثِ، وتَكلَّمَ على أصْلِ اللُّغةِ وقيمةِ الشِّعرِ، وغيْرِ ذلِك.

(ب) الكامِلُ في اللُّغةِ والأدَبِ: لأبي العبَّاسِ، مُحمَّدِ بنِ يَزيدَ المُبَرِّدِ، المُتَوفَّى (285هـ)، وقد تَناوَلَ في الكِتابِ مُلَحًا مِن أخْبارِ الأُدَباءِ وأشْعارِهم، استَهَلَّ الكِتابَ ببعضِ بَلاغاتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ ذَكَرَ شيئًا مِن كِتاباتِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين وخُطَبِهم، وما فيها مِنَ البَلاغةِ والفَصاحةِ.

(ج) كِتابُ الصِّناعتَينِ: الكِتابة والشِّعْر: لأبي هِلالٍ، الحَسَنِ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ سَهْلٍ، العَسْكَريّ، المُتَوفَّى سَنةَ (395هـ). ألَّفَ العَسْكَريُّ الكِتابَ ليكونَ جامِعًا لمَعاييرِ الكِتابةِ وطُرُقِها وشُروطِها، شِعْرًا كانَتْ أو نَثْرًا، ثُمَّ دَلَّلَ على كَلامِه وأكَّدَه بذِكْرِ مُقْتَطَفاتٍ بَليغةٍ مِن الأدَبِ العَربيّ على مَرِّ عُصورِه.

(د) المَثَلُ السَّائِر في أدَبِ الكاتِبِ والشَّاعِرِ: لأبي الفَتْحِ، ضِياءِ الدِّينِ، نَصْرِ اللهِ بنِ مُحمَّدِ بنِ الأثيرِ، المُتَوفَّى سَنةَ (637هـ)، وقد وضَعَ كِتابَه ليكونَ مَرجِعًا في عُلومِ الكِتابةِ والبَلاغةِ والإنْشاءِ والشِّعرِ، ووضَعَ فيه ألوانَ المُحسِّناتِ، وصُوَرَ التَّشْبيهاتِ والمَجازِ، ونَحْوَ ذلك، وبَرْهَنَ على كلٍّ بما في جَعْبتِه مِن الآياتِ والأحاديثِ والشِّعرِ والنَّثْرِ.

المَعاجِمُ اللُّغويَّةُ:

وهي أساسٌ لمَعْرفةِ دَلالاتِ الألفاظِ، وفَهْمِ مَعاني الجُمَلِ والتَّراكيبِ، إلى جانِبِ ما حَوَتْه مِن أشْعارِ الشُّعَراءِ، وأقوالِ الأُدَباءِ بوَجْهٍ عامٍّ، ومِن أمْثِلتِها: لِسانُ العَربِ لابنِ مَنْظورٍ، ومَقاييسُ اللُّغةِ لابنِ فارِسٍ، والقاموسُ المُحيطُ للفَيْروزابادِيّ، وغيْرُ ذلك.

الكُتُبُ المُتَرجَمةُ:

وهي مُتَنوِّعةٌ وكَثيرةٌ: فبعضُها كُتُبٌ في الأدَبِ العَربيّ، مِثلُ: تاريخِ الأدَبِ العَربيّ لكارل بُروكْلمان، وقد تَرجَمَ الأجْزاءَ الثَّلاثةَ الأُولى مِنه الدُّكتورُ عبْدُ الحَليمِ مَحْمود -رَحِمَه اللهُ-. وإلى جانِبِ ذلك تُوجَدُ كُتُبٌ أدَبيَّةٌ كُتِبتْ في آدابِ اللُّغاتِ الأخرى، وهذه تُفيدُ في التَّعرُّفِ على التُّراثِ الأدَبيّ للأُمَمِ الأخرى، وتَقِفُ القارِئَ على عَظَمةِ الأُمَّةِ العَربيَّةِ في أبْوابِ الأدَبِ"[24].

النَّثْرُ في اللُّغةِ

لَفْظةُ النَّثْرِ مَأخوذةٌ مِن المادَّةِ (نَثَر) الَّتي مِن دَلالاتِها: رَمْيُ الشَّيءِ مُتَفرِّقًا، ومِنه نَثْرُ الحَبِّ إذا بُذِرَ، ونَثْرُ اللُّؤْلُؤِ والجَوْزِ واللَّوْزِ والسُّكَّرِ في الوَلائِمِ والحَفَلاتِ ، والنُّثارُ -بالضَّمِّ- ما تَناثَرَ مِن الشَّيءِ"[25].

النَّثْرُ اصْطِلاحًا

رُبَّما أُخِذَ لَفْظُ "النَّثْرِ" عَلَمًا على ذلك النَّوْعِ مِن الكَلامِ الأدَبيّ مِن المَعنى اللُّغويّ للنَّثْرِ، المُتعلِّقِ بنَثْرِ اللُّؤْلُؤِ؛ فكأنَّ الخَطيبَ إذا خطَبَ في النَّاسِ خُطبةً بَليغةً أدَبيَّةً، فكأنَّه يَنثُرُ عليهم مِن اللَّآلِئِ والهَدايا، كما يَنثُرُ الآدِبُ -صاحِبُ المَأدُبةِ- على الحاضِرينَ. وكذلك سائِرُ النُّثَّارِ كأصْحابِ القِصَصِ والرَّسائِلِ والمَقاماتِ والرِّواياتِ وغيْرِها"[26].

24 ـ مختلَف في تاريخ وفاته، وسيأتي ذكر ذلك

25 ـ الجوهري ،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،2/ 822

26 ـ شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي: الأدب الجاهلي،ص: 398

وقد تَقارَبتْ تَعْريفاتُ الاصْطِلاحيّينَ لمَفْهومِ "النَّثْرِ"؛ فقيلَ: هو الكَلامُ الخالي مِن الأوْزانِ والقَوافي، ويَقصِدُ به صاحِبُه التَّأثيرَ في نُفوسِ المُستمِعينَ، والَّذي يَحفِلُ مِن أجْلِ ذلك بالصِّياغةِ وجَمالِ الأداءِ.

وقيلَ: هو الكَلامُ المَنْثورُ لا المَنْظومُ، الَّذي يَعْتمِدُ على الفِكْرِ والمَنطِقِ لا الخَيالِ والعاطِفةِ، يَتحكَّمُ فيه العَقْلُ والفِكْرُ أكْثَرَ مِن المَشاعِرِ والخَوالِجِ والأحاسيسِ، ومِنه: القِصَّةُ والرِّوايةُ، والمَسْرحيَّةُ والخُطبةُ، والرِّسالةُ والخاطِرةُ والمَقالُ"-27

وقيل: هو الكَلامُ الَّذي يُصوِّرُ العَقْلَ والشُّعورَ، ولا يَتَقيَّدُ بوَزْنٍ ولا قافيةٍ"-28

الفَرْقُ بيْنَ الشِّعرِوالنَّثْرِ

يَتَقاسَمُ الشِّعرُ والنَّثْرُ الأدَبَ العَربيَّ، إلَّا أنَّهما يَختلفانِ فيما بيْنَهما على جَميعِ المُستوَياتِ، سَواءٌ مِن جِهةِ الأديبِ ومَوهِبتِه، أو العَمَلِ الأدَبيِّ ذاتِه، أو في التَّأثيرِ في جُمْهورِ المُخاطَبينَ. ولا يَعْني هذا تَفْضيلَ أحَدِهما –الشِّعْر أو النَّثْر- على الآخَرِ"-29

فلِكلٍّ مِنْهما رِسالتُه ومَكانتُه ودَورُه في إثْراءِ الحَياةِ الأدَبيَّةِ والثَّقافيَّةِ بوَجْهٍ عامٍّ، ويُمكِنُ إجْمالُ أبْرَزِ الفُروقِ فيما بيْنَهما في النِّقاطِ التَّاليةِ:

مِن النَّاحيةِ التَّاريخيَّةِ: فإنَّ الشِّعرَ أسْبَقُ مِن النَّثْرِ -على الرَّاجِحِ كما سيأتي بَيانُه-، وقدِ اسْتَخدمَتْه الأُمَمُ -لا سيَّما الأُمَّةِ العَربيَّةِ- في التَّعْبيرِ الأدَبيِّ قبْلَ النَّثْرِ"-30

1- ومِن ناحيةِ الصُّورةِ والأُسلوبِ: فإنَّ الشِّعرَ يَخْتلِفُ عنِ النَّثْرِ اخْتِلافًا واضِحًا؛ فالشِّعرُ يَتَقيَّدُ بالأوْزانِ والقَوافي وقَوانينِهما، فيأتي على نَمَطٍ مُعيَّنٍ لا يُخالِفُه، بخِلافِ النَّثْرِ الَّذي تَحرَّرَ مِن رِبْقةِ الأوْزانِ والقَوافي، وإنِ اعْتَمَدَ على خَصائِصَ أُسلوبيَّةٍ أخرى تَكسِبُه الثَّوبَ الأدَبيَّ الَّذي يُقنِعُ العَقْلَ ويَستميلُ النَّفْسَ"-31

كما أنَّ طَبيعةَ الشِّعرِ تَعتمِدُ على الإيجازِ، كما تَتَحكَّمُ قَواعِدُه وأوْزانُه في انْتِقاءِ الكَلِماتِ، واخْتِيارِ تلك الكَلِمةِ على حِسابِ أُخْتِها، وإن كانَتْ أدَلَّ على المُرادِ مِنها.

وكذلك فإنَّ الشِّعْرَ تَغلِبُ عليه لُغةُ العاطِفةِ؛ ولِذا يَكثُرُ فيه الخَيالُ والأجْراسُ الموسيقيَّةُ الآخِذةُ، بخِلافِ النَّثْرِ الَّذي يَعْتمِدُ خِطابَ العَقْلِ -غالِبًا- ومِن ثَمَّ نَجِدُه يَميلُ إلى اعْتِمادِ لُغةٍ واضِحةٍ قَريبةٍ، يَقِلُّ فيها الخَيالُ، ويَكثُرُ فيها التَّقْريرُ.

-3ومِن ناحيةِ الحِفْظِ والنَّقْلِ: فإنَّ الشِّعْرَ أيْسَرُ في الحِفْظِ وأسْهَلُ في النَّقْلِ؛ ومِن ثَمَّ كانَتْ أقوالُ الشُّعَراءِ ودَواوينُهم أقْدَمَ وُجودًا، وأكْثَرَ شُيوعًا وانْتِشارًا.

-4ومِن ناحيةِ المُرونةِ والتَّطوُّرِ: فإنَّ النَّثْرَ أقْدَرُ على التَّطوُّرِ، وأطْوَعُ مِن الشِّعْرِ؛ إذِ النَّثْرُ يَعْتمِدُ العَقْلَ أكْثَرَ مِن العاطِفةِ، ويَتَحلَّلُ مِن الأوْزانِ والقَوافي، ومِن ثَمَّ كان أقْدَرَ مِن الشِّعْرِ على التَّطوُّرِ وأسْرَعَ.

-5ومِن النَّاحيةِ الموسيقيَّةِ فإنَّ الشِّعْرَ لُغةُ الغِناءِ والموسيقا، بخِلافِ النَّثْرِ؛ فإنَّه لا يَصلُحُ لِذلك؛ ولِهذا كانَتِ المَوْضوعاتُ الغِنائيَّةُ؛ كالغَزَلِ والنَّسيبِ والحَنينِ ونَحْوِها، أكْثَرَ تَعلُّقًا بالشِّعْرِ مِن النَّثْرِ"-32

27 ـ مدخل لدِراسة الأدب،ضمن مقررات كلية الآداب جامعة أم القرى،ص12

28 ـ أحمد الشايب،أصول النقد الأدبي،ص 328

29 ـ أحمد الشايب أصول النقد الأدبي،ص 328

30 ـ طه حسين ،من حديث الشعر والنثر،ص22- 23

31 ـ طه حسين وأحمد أمين وآخرون ،التوجيه الأدبي،ص137

32 ـ أحمد الشايب ،أصول النقد الأدبي،ص90- 91

أشْهَرُ الخُطَباءِ

تَوارَثَ النَّاسُ في عَصْرِ النُّبوَّةِ والخِلافةِ الرَّاشِدةِ تَعظيمَ مَكانةِ الخَطيبِ وأهَمِّيَّتَه؛ إذ لم يَطُلِ الأمَدُ بيْنَهم وبيْنَ الجاهِليَّةِ، بلْ كانَ كَثيرٌ مِن أصْحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خُطَباءَ في الجاهِليَّةِ، كسُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، وأبي سُفْيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ، وثابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشَّمَّاسِ وأبيه، كما نَبَتَتْ مَوْهبةُ كَثيرٍ مِن الصَّحابةِ في ظِلِّ الإسْلامِ، كالخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ الأرْبَعةِ، وغيْرِهم مِن أمْثالِ خالِدِ بنِ الوَليدِ، وأبي عُبَيْدةَ عامِرِ بنِ الجَرَّاحِ، وعبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ.

مُمَيِّزاتُ الخَطابةِ وخَصائِصُها

اتَّسِمَتِ الخَطابةُ في عَصْرِ النُّبوّةِ والخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ بعِدَّةِ سِماتٍ على الصَّعيدَينِ المَعْنويِّ واللَّفْظيِّ:

الخَصائِصُ المَعْنويَّةُ:

1- بُروزُ الجانِبِ الدِّينيِّ الدَّعَويِّ فيها، وهي السِّمةُ الأغْلَبُ.
2- وَحْدةُ المَوْضوعِ في الخُطبةِ الواحِدةِ.
3- تَعدُّدُ أغْراضِ الخَطابةِ وتَنوُّعُها؛ فمِنها الدِّينيَّةُ والسِّياسيَّةُ والاجْتِماعيَّةُ.
4- الاعْتِمادُ على الحُجَجِ والبَراهينِ، والرَّغْبةُ في الإقْناعِ الذِّهْنيِّ والتَّأثيرِ في العَقْلِ والنَّفْسِ.

الخَصائِصُ اللَّفْظيَّةُ:

1- المَيلُ إلى الإيجازِ، والتَّرْكيزُ مِن غيْرِ إخْلالٍ، والاعْتِمادُ على الفِقْراتِ القَصيرةِ الَّتي تَشْتَمِلُ على جَوامِعِ الكَلِمِ رَغْمَ قِلَّةِ ألْفاظِها.
2- جَزالةُ الألْفاظِ وفَصاحةُ العِبارةِ؛ فلم يَسْتعمِلوا الغَريبَ الوَحْشيَّ ولا المُبْتذَلَ السُّوقيَّ.
3- الإكْثارُ مِن الاسْتِشهادِ بالآياتِ القُرآنيَّةِ والأحادِيثِ النَّبويَّةِ، والحِكَمِ والأمْثالِ والشِّعْرِ؛ وذلك لتَأكيدِ المَعاني وزِيادةِ تَأثيرِها في النُّفوسِ.
4- الاعْتِمادُ على الطَّبْعِ والفِطرةِ، وكَراهيَةُ التَّكلُّفِ والتَّصنُّعِ.
5- كانَتِ الأسْجاعُ تَأتي في خُطَبِهم على السَّجيَّةِ والطَّبيعةِ، مِن غيْرِ تَكلُّفٍ مِنهم، بلْ كانوا يَنْأونَ عنها ما اسْتَطاعوا.
6- تَصْديرُها بالحَمْدِ للهِ والثَّناءِ عليه، ثُمَّ الصَّلاةِ والسَّلامِ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ"-33

هذا الموضوع مهم جدًا لأنه سيوضح تأثير الأدب العربى فى العراق ، الذي يشبه البحر، وقد تأثر مشاهير الأدب من الحركات الإسلامية المختلفة ووجهات نظر دينية مختلفة. مثل الطوائف الإسلامية التي نشأت فى العراق خلال العهد فى النصف الثانى من القرن العشرين، وغيرهم

إذا جاز لنا أن نقسّم تاريخ الأدب العراقي إلى مراحل أو محطات، في الجانب المتعلق بالقصة والرواية خاصة، فإننا نتوقف عند أربع محطات رئيسة، عكس خلالها ملامح كل مرحلة وحاول أن يعبر عنها، وفقاً لاجتهاد كل قاص أو روائي.

كانت الأولى مرحلة التأسيس التي رافقت إطلالة العراق المعاصر على العالم بعين أخرى، بعد أن بات دولة بمؤسسات حديثة تعبر عن واقع بلاد خرجت من أتون نحو 6 قرون من الضياع، وألقت بظلالها الكثيفة على حياة الناس بشكل عام.غني عن القول أن بدايات فن القصة والرواية كانت على يد جيل محدد من الرواد، في مقدمتهم محمود أحمد السيد الذي أصدر أول رواية عراقية بعنوان «جلال خالد» عام 1928، بث خلالها أسئلته الوجودية حول الإنسان والموت والحياة وفقاً لما عايشه وتأثر به من أفكار عصره.بعد ذلك، توالت الأعمال الروائية والقصصية التي عبّرت عن واقع العراق في مرحلة الحكم الملكي الذي أنضج واقعاً ثقافياً مغايراً، نتيجة ظهور طبقة وسطى ووسط ثقافي وصحافي

33 - علي صبح وعبد العزيز شرف وعبد المنعم خفاجي ،الأدب الإسلامي المفهوم والقضية،ص 136

انشغل بالهم السياسي، في محاولة لإصلاحه بعيداً عن المؤثرات العقائدية الحادة، وإن كانت موجودة لكنها ظلت محدودة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، التي تمثل أيضاً المحطة الثانية في حياة الأدب العراقي.